

أحمد محرم

١٨٧١ — ١٩٤٥



شاعر ملهم ، من شعراء الوطنية والأخلاق ،
كان أدباء الجيل يضعونه في صف حافظ ومطران ،
وكان شيخ الشعراء إسماعيل صبرى يتغنى بشعر
هؤلاء الأربعة ويطيب له التحدث عنهم ، وامتاز
محرم إلى جانب مكانته الشعرية بحرارة العاطفة ،
وتذوقه للفن والجمال ، وقوة إيمانه ، وتأملاته العميقة
الفلسفية ، واستمساكه طول حياته بمبادئه الوطنية ،
فكان شعره كله وقفاً على هذه المبادئ ، لم يتحرف

عنها يوماً في قصيدة أو في أى بيت من الشعر ، ظل مقيماً عليها وفياً لها في السراء والضراء ،
فكان حقاً مثلاً أعلى في الشعر والوطنية ، وكان مصطفى كامل يعجب به وبشعره ، ويشيد
به على صفحات (اللواء) ، ويسميه (نابغة البحيرة) ، وبقى أحمد محرم على صلته به ووفائه
له ولذكراه ، كما ظل وفياً لمبادئه الوطنية إلى أن توفاه الله في ١٣ يونيه سنة ١٩٤٥ .

كان شاعراً بفطرته وسليقته ، قال الشعر وهو في سن مبكرة . ومعلقته التى يقول
في مطلعها :

منازل سلمى لا عدتلك الغنائم وإن درست بالجزع منك العالم

قد نظمها وهو فى السادسة عشرة من عمره .

وطنيته فى شعره

تتجلى روحه الوطنية التى ألهمته الشعر أكثر مما تتجلى حين أصدر الجزء الأول من
ديوانه سنة ١٩٠٨ ، فقد أهداه إلى (النيل) ، وكتب كلمة الإهداء فى عنوان الكتاب

هدية النيل) ، وأعقبها بهذا البيت الذى يترجم عن وطنيته الأصلية مخاطباً النيل قال :
وَهَبْتُكَ مُلْكَ الْقَرْيَضِ الْعَتِيدِ وَذَلِكَ أَفْضَلُ مَا يُوْهَبُ

وقال فى مقدمة ديوانه يشرح المعنى الذى استوحاه فى إهداء ديوانه إلى النيل :
« لقد جرى أكثر الكتاب والشعراء على أن يهدوا مؤلفاتهم إلى من شأوا من ذوى
الثروة والجاه تعرضاً لموازرتهم والانتفاع بهم وسط هذا الكساد الآخذ بأكظام الأدب
فى بلادنا ، ولكننى انصرفت بشعرى عن تلك المواقف ، وبرئت إلى نفسى أن آخذ بهذه
الأسباب ، على ما أعلم من وعورة مسلكى ، وضيق مضطربى ، وما كنت فى ذلك إلا جارية
على سنتى فى سياسة نفسى ، وتصريف ما آتى وأدع من أمور الحياة ، فما استظهرت بغير
أخ حفى ، أو صديق صفى ، ولا آثرت أن أهدي ديوانى إلى غير (النيل) ، ذلك الأب الذى
وهبنى نعمة الحياة ، وأفاض على هذه المنح والصلات .

فِيَانَيْلُ أَنْتَ الْمَوْىَ وَالْحَيَاةُ	وَأَنْتَ الْأُمَيْرُ وَأَنْتَ الْأَبُ
وَيَانَيْلُ أَنْتَ الصَّدِيقُ الْوَفَى	وَأَنْتَ الْأَخُ الْأَصْدَقُ الْأَطِيبُ
وَأَنْتَ الْقَرْيَضُ الَّذِى أَقْنَى	فِيَزْهَى بِهِ الشَّرْقُ وَالْمَغْرِبُ
فَإِنْ أَهْبَ الْخَصْبَ هَذِهِ الْعُقُولُ	فَمَا سَنَنْتَ لَهَا تَحْصِبُ
وَإِنْ أَنَا أَطْرَبْتُ هَذِهِ النُّفُوسُ	فَصَوْتُكَ لَا صَوْتِي الْمَطْرَبُ
تَسِيلُ فَتَدْفِقُ الرَّائِعَاتُ	وَتَجْرَى فَتَسْتَبِقُ الْجَوَّابُ

إلى أن قال :

لَنْ فَاتَنِ الذَّهَبُ الْمُسْتَفَاضُ فَا فَاتَنِ الْأَدَبُ الْمَذْهَبُ
وَهَبْتُكَ مُلْكَ الْقَرْيَضِ الْعَتِيدِ وَذَلِكَ أَفْضَلُ مَا يُوْهَبُ

وقد ظهر الجزء الثانى من ديوانه سنة ١٩٢٠ .

دعوة الوطنية

قال يدعو مواطنيه إلى الإخلاص لبلائهم والعمل على استعادة مجدها :

دعا فائز الساكنين دعاؤه ونادى فراع الأمنين نداؤه

أخو وصَب ما أن يحم انقضاؤه وذو أرب ما أن يحين قضاؤه
 به من بنى مصر عناء مبرح فياليت شعري هل يزول عناؤه ؟
 أما إنه لو كان يُشفي غليله بكاء على مصر لطل بكاءؤه
 تقسمها الأقوام لا ذو حية فيحى ولا واق فيرجى وقاؤه
 وما مصر إلا موطن نحن أهله عزيز علينا أرضه وسماؤه

إلى أن قال يستنكر الاحتلال البغيض ويهيب بالأمة أن تحاربه :
 ثوى فيه أقوامٌ مللنا ثواءهم وياربَّ ثاوٍ لا يملُّ ثواؤه
 لقد كان يابى أن يذلَّ لغاصب فياليت شعري أين ضاع إباؤه ؟
 لقد كان يرعاه رجال أعزة بهم من صروف الدهر كان احتماؤه
 هم ناضلوا عنه فصانوا ذماره بصارم عزم ما يردّ مضاهؤه

بنى وطنى لا تسخطوه عليكمُ فليس سواء سخطه ورضاؤه
 بنى وطنى خلّوا التخاذل إنه بلاؤكم يحتاجكم وبلاؤه
 سلامٌ عليكم من أخ ذى حية دعى فائتار الساكنين دعاؤه

لواء الوطنية

وقال يمجّد لواء الوطنية ويدعو إلى الالتفاف حوله والتضحية في سبيله :

فداؤك نفسى من لواء محب حمى جانيه كل ماضٍ مدرّب
 إذا مادعى أنصاره التف حوله جحاجة^(١) من ذائد ومذيب
 فمنهم قؤول للصواب مسدد يصرف صرّاراً له وقع أشطب
 يدين له الجبار غير معذل ويعنو له المغوار غير مؤتب

(١) جحاجة جمع ججاج : السيد المسارع فى المكارم .

ومنهم فعولٌ للكارم ماجدٌ يلبي نداه كل دافع مشوب
هم الصحب صانوا للديار لواءها وصالوا على أعدائها غير هُتَب
يكرّون كَرَّ الدارعين إلى الردى إذا الحرب أبدت عن عبوس مقطب
إذا طلبوا حقا تداعوا فأجلبوا على ساليه فاثنوا غير خُتَب
إلى أن قال :

وما منع الأوطانَ إلّا حمائها وذادتها من ذى شباب وأشب
همُ ذخرها المرجوُّ في كل حادث وعدتها في كل يوم عَصَبُصَب
سلامٌ عليهم من كهول وفتية وبورك فيهم من شهر وغُتَب

كبوة الشرق

وقال تحت عنوان (كبوة الشرق) يستصرخ أهله ليعيدوا إليه سالف مجده :

متى ينهض الشرق من كبوته وحتى متى هو في غفوته ؟
كَبَا وكذلك يكبو الجواد براكبه وهو في حلبته
ونام كما نام ذو كربة تملكه اليأس في كربته
وهى عزُّهُ ما يطيق الحراك وقد كان كالليث في وثبته
تجرّ عليه عوادي الخطوب كلا كلَّها وهو في غفلته
نواهبُ ما كان من مجده سواببُ ما كان من عزته

إلى أن قال :

فيالهف قلبي للجدِ مضى ويالهف آباءنا الأولين
همُ غادروه كروض أريض على الشرق إن ظل في نكبتة
ونحن تركناه للعاديات تتوق النفوس إلى نصرته
ولم نرع ما ضاع من حرمة ولم نرع ما ضاع من حرمة

فأذهبن ما كان من حسنه وأفين ما كان من بهجته

فهل يسمع القول أهل القبور خطيب فيسهب في خطبته
يناديهم فيم هذا الرقاد؟ كفى مادهى الشرق من رقدته
لقد ضاع بعدكمو مجده وكل المثالب في ضيعته
وأتم رجال ذوو نجدة فلا تقعدوا اليوم عن نجدة

يدعو إلى بعث مصر

وقال يذكر مجد مصر الغابر ويدعو مواطنيه إلى النهوض لاستعادة هذا المجد :

أهذى ديار القوم غيّرهما الدهرُ فعوجوا عليها نبكها أيها السفر
محي آيها مرث العصور وكثرها إذا مرّ عصرٌ كرّ من بعده عصر
نسألها أين استقلّ قطينها وهل تنطق الدار المعطلة القفر؟
وكأن ترى من ذى ثمانين خضبت لطول البكا من شبيه الأدمع الحر
بكي وطننا أودت بسالف مجده • حوادث دهر من خلاّقه الغدر
أغارت عليه من جنوب وشمال فما برحت حتى أتيح لها النصر

ألا إنها مصر التي شقيت بنا فيا ويح مصر ما الذى لقيت مصر؟
مضى عزّها القُدُموس^(١) ما يستعيده بنوها فلا عزّ لديهم ولا فخر
هم رقدوا عنها فطال رقادهم فديتكمو هبوا فقد طلع الفجر !

ذ كرى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢

وقال عن ذ كرى احتلال الإنجليز القاهرة يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ :

(١) القُدُموس : القديم .

نلومك يا يوم النحوس ونعذل وأنت على ما أنت تمضي وتقبل
فلا نحن ما عشنا عن اللوم نرعى ولا أنت ما كثر الجذيدان تحفل
إلى أن قال :

لعلك أن تأتي بما تعد المنى نفوس رجال أو شكت تملل
لحى الله قوما حملونا من الأذى بما ضيعوا الأوطان ما ليس يحمل
هم خذلوها فاستبيح حريمها وما برحت تبغى انتصاراً فتخذل

يهاجم الاحتلال

وقال سنة ١٩٠٢ ينهى على الاحتلال بغية وعدوانه ، وعلى الإنجليز نقضهم
للعهود والمواثيق :

في كل يوم شرعة ونظام ما هكذا الأحكام والحكام
عشرون عاما والديار مريضة تنسابها الأدواء والأسقام
لم يعرف المتطببون دواءها فتتويعت في دائها الأوهام
إن الأساة لتعلم الداء الذى ترك العليل تذيبه الآلام
ولربما غش الطيب عليه حتى يعود الداء وهو عقام
كيف الشفاء لمصر من أدوائها أم كيف يرجى عزها ويرام ؟
والمصلحون كما علمت وأهلها عنها على زجر المهيب نيام
إلى أن قال مخاطبا بريطانيا :

يا دولة رفعت على أوطاننا علما تنكس تحتها الأعلام
أين المواثيق التى أبرمتها إن كان منك لموثيق إبرام ؟
لم تحفلى بعهودنا فنقضتها يا هذه ، نقض العهود حرام
عشرون عاما ما كفتك وهكذا تأتى وتذهب بعدها الأعوام
طال المقام وأنت أنت ولم يكن ليطول لولا الجهل منك مقام

وقال يهيب بالأمة أن تهب للجهاد :

يا أمة خاط الكرى أجفانها هُبي فقد أودت بك الأحلام
هُبي فما يحى المحارم راقدا والمرء يُظلم غافلا ويضام
هُبي فما يغنى رقادك والعدى حول الحمى مستيقظون قيام
غنموا نفائسه وثمَّ بقية ستنبئها أيديهم الأيام

عجبا لهذا النيل كيف نعته ويدوم منه البرُّ والإكرام ؟
لو كان يجزينا بسوء صنيعنا أودى بهاتيك النفوس أوام
لكنها رَحِمُ الجدود ولم تزل تُرعى لدى أمثاله الأرحام

يا آلَ مصر خذوا نصيحة شاعر أبدأ يكلف نصحك ويُسام
لا تغفلوا عنها فليس بغافل عنكم وعنَّا ذلك الضرغام
شيثان يذهب بالشعوب كلاهما نومت عن الأوطان واستسلام
إلاَّ يحنُّ للراقدين قيامُ فعليهم وعلى الديار السلام

يدعو إلى البذل والتضحية في سبيل مصر

من قصيدة له نظمها سنة ١٩٠٤ بمناسبة إنشاء مدرسة محمد علي الصناعية بالإسكندرية :

من يُسد الأوطان غيرُ بنينا وينيلها الآمال غيرُ ذويها
ليس الكريم بمن يرى أوطانه نهَبَ العوادى ثم لا يحميها
ترجو بنجدته انقضاء شقائها وهو الذى بقعوده يشقيها
وتودُّ جاهدةً به دفعَ الأذى عن نفسها وهو الذى يؤذيها
سُبُلُ المكارم للكرام قويمه فعلامَ يخطئها الذى يبغيها ؟
ما أكثر المتفاخرين وإنما فخر الكرام بما حبت أيديها

يحمى الكريم المال لا ينبغي به شيئاً سوى أكرومة يحويها
والجود يُحمد حيث كان وخيره ما نال أوطان الفتى وبنينا
ولقما أرضى امرؤ أوطانه حتى تراه بنفسه يفديها

يا آل مصر وما يؤدى حقها إلا فتى يكفى الذى يعينها
فى أمكم لا كان من أبنائها من لا يواسيها ولا يرضيها
وهبتكم الخير الجزيل فهل فتى منكم بحسن صنيعها يحزيها ؟
سعدت لعمرى بالصنائع حقبة دلت على عجل فمن يثنيها ؟
دار الصنائع خير دار تبتنى فالله يحزى الخير من بينيها

يطعن فى الملوك ، ويستهجى الرتب والألقاب

من قصيدة له بعنوان (الشرف والملوك) ، وإذا عرفت أنه نظم هذه القصيدة ونشرها سنة ١٩٠٨ فى الجزء الأول من ديوانه ، لرأيت أنه أول شاعر وطنى حمل على الرتب والألقاب ، وأول من هاجم الملكية والملوك بهذه القوة والشجاعة ، فسبق بهذه القصيدة الخالدة عجلة الحوادث بنصف قرن من الزمان ، قال :

كذب الملوك ومن يحاول عندهم شرفاً ويزعم أنهم شرفاء !
رتب وألقاب تغرُّ وما بها فخرٌ لمحزها ولا استعلاء
آناً تباع وتارة هى خدعة تمنى بشر سُعاتها الأمراء
كم رتبة نعيم الغيِّ بئيلها من حيث جلَّها أسى وشقاء
لو كان يعلم ذلُّها وهوانها ما طال منه الزهو والخيلاء
يلقى الكرامة حيث كان وفعله جَمُّ المساوى والمقال هراء

تلك الجهالة والغرور وباطل ما يصنع الأغرار والجهلاء

ذنبُ الملوك رمى الشعوب بنكية	جَلَى تنوء بحملها الفسباء
لا المجد مجدًا ما عبث به	أيدى الملوك ولا السناء سناء
مأثروا عن الشرف الصميم وأحدثوا	ما شاءت الأوهام والأهواء
رفعوا الطعام على الكرام فأشككت	قَمِ الرجال ورابت الأشياء
وإذا الرعاة تنكبت سبل الهدى	غوت الهداة وطاشت الحكماء
وإذا الطيب رمى العليل بدائه	فبمن يؤمل أن يبلّ الداء ؟

لو جاور الشرف الملوك لأورقت	صُمُ الصخور وضاعت الظلمات
ظلمٌ يُبرِّحُ بالبرى وغلظة	يشقى بها الضعفاء والفقراء
الحق منتَهكُ المحارم بينهم	والعدل وَهمٌ والوفاء هباء
رفعوا العروش على الدماء وإنما	تبقى السفينة ما أقام الماء !

يرثى مصطفى كامل

قال سنة ١٩٠٨ من قصيدة له في رثاء مصطفى كامل :

ما زلت تقتحم المصاعب مجهدا	نفسا موطنَةً على الأهوال
حتى طواك الموت غير مجامل	شعبا يحلك أيما إجلال
أحييته وقتلت نفسك بالذى	حلتها من فادح الأتقال
هلا رحمت نفوسنا فرحتها	وبقيت تكفيننا أذى القتال

وحتمها بقوله :

إن كان قد حُمَّ الفراق فوقعة	تشقى نفوسا آذنت بزوال
------------------------------	-----------------------

هيهات ما جزع النفوس لراحل سارت به الخدياء غير خيال
سير فالحياة كما علمت رواية محتومة الأدواء بالآجال

يدافع عن حرية الصحافة ، ويلوم الخديو عباس

قال من قصيدة له سنة ١٩٠٩ ينمى على الحكومة تقييدها حرية الصحافة ، وفيها يوجه اللوم إلى الخديو عباس الثانى فى خذلانه للأمة :

صُوبوا المداد وحطّموا الأقلاما واطووا الصحف وانزعوا الأفهاما !
وخذوا على الوجدان كل ثنية واقضوا الحياة مزملين نياما
ودعوا البلاد تذوق من غنت العدا ماشاء خادمها الخوون وناما

اليوم نمنع أن نثن لمؤلم أو نشكى الإعانت والإرغاما
والله لا ندع الشكاية منهم أو يمتنعوا الأوصاب والآلاما
كيف القرار على الإساءة والأذى أم كيف نكتم فى القلوب ضراما ؟
ومتى رضىنا أن نعيش أدلة فنطيق مسكنة أو استسلاما ؟

إلى أن قال يخاطب الخديو عباس الثانى ويلومه :

ماذا بدا لك فاعتزلت صفوفنا أفأصيحبت حرب الغزاة سلاما ؟
الحرب دائرة وجيشك قائم ينضى السيوف ويرفع الأعلاما
والملك مضطرب ومصر كعهدها تدعو الحماة وتشتكى الأقواما
إن كنت خاذلها ولست بفاعل فحماهم لا يخفرون ذماما^(١)
أتخون مصر وما تحوّل نيلها سماء وما انقلب الضياء ظلاما
نبغى لها الشرف الأشم مؤيدا بالبأسن يؤيس صرحه الهداما
ونعز رايتها ونمنع حوضها ونزيد صادق حبها استحكاما

(١) يقصد بمحماهم أبناءها المجاهدين .

عباسُ رأيك في البلاد وأهلها أن الأذى يستتزم الأوغاما
إن كان عسف فالزمان مؤرخ يحصى لنا الحسنات والآثاما

قلمى . كتابى . أمتى . وطنى . متى نشفى نفوسا تستطير أواما ؟

يندد بملوك الشرق

من قصيدة له سنة ١٩١٢ بعنوان (الملك الزائل) يندد فيها بملوك الشرق لمناسبة ضياع
مراكش بعد توقيع السلطان عبد الحفيظ المعاهدة التى قبل فيها وضع بلاده تحت حماية فرنسا :

هَوَّت العروش وزُلْزِلت زلالا	عرشٌ هَوَى وقديم مُلكٍ زالا !
رَبِيعَت لمصرعه المشارق إذ مَشَى	فيها النَّعْيُ وأَجْفَلت إجمالا
سَلَبَ المغيرُ حياته واستأصلت	أيدي الجوائح عِزَّه استئصلا
تَنَجَّوُ الممالكُ مانجا استقلالها	فإذا اضمحلَّ أعارها اضمحللا
أين (الخليفة) مادهاه وماله ؟	أَرْضى المغيرَ وطاوع المقتلا

ما قام شعبٌ نام عنه حماه	واستشعر التفريط والإهمالا
تَأبَى العناية أن تصافح أمة	ترضى الهوان وتألف الإذلالا

قد كان يأنف أن يكون قرينهم	ويعـدم لجلاله أمثالا
لعب الغرورُ به فضيَّع ملكه	واعْتَاض منه مذلة وخبالا
وإذا أراد الله شرا بامرئ	تبع الغواة وطلاوع الجهالا

أخليفة يعطى البلاد وآخر	يهوى القيان ويعشق الجريالا ؟
أغرور مفتون وصبوة جاهل	بئس (الخلائف) سيرة وفعلالا

فظائع الإنجليز في مصر إبان الحرب العالمية الأولى

من قصيدة له سنة ١٩١٨ يندد بفظائع الإنجليز في مصر إبان الحرب العالمية الأولى :

أيها الجند ظافراً يتمشى في الجماهير معجباً مختللاً
يوم غاب الحماة واستصرخت مصر سر تنادى الرجال والأبطالاً
أقتلت الكرامة في الحرب غلباً^(١) أم قتلت النساء والأطفالاً ؟
أنصفى (الظالمين) يا (دولة الفا روق) منا وعلمى (الجهالاً)
علمينا كيف الحياة نعا فيها وصوتى النفوس والآجالاً
خفى الفتك إننا قد عينا ولقينا في ظلك الأهوالاً
إقبضى ظلك (المحب) عنا واجعلها عقوبة ونكالاً
إلى أن قال يندد بغدر الاحتلال :

ما ذكرنا لكم من الخير شيئاً ماضينا لكم على الدهر حالاً
نذكر الحكم ظالماً ما رأينا فيه عدلاً ولا وجدنا اعتدالاً
نذكر العهد شيئاً ما عرفنا فيه حرية ولا استقلالاً
نذكر الشر والبلاء جميعاً فاذكروا عهدكم وشدوا الرحالاً
رصعوا (التاج) بالوفاء وحلوا بحلى الصدق (عزه والجلالاً)
لاتريقوا دم الضعيف عليه وانظروه من فوقه كيف سالاً
أكرموا التاج إنكم إن أيتم زاد فينا مهانة وابتدالاً
طال عهد احتلالكم لحسبنا أن يوم الحساب يدعى احتلالاً
إلى أن قال منذراً الإنجليز بسوء العاقبة :

هل من الله مهرب أو نجاة حين يزجى جنوده والرعالا^(٢)

(١) غلباً ، جمع أغلب .

(٢) الرعال : جماعة الخيل .

يأخذ البر والبحار عليكم ويريك نزاله والدحالا^(١)
تلك عقي الأذى فلا تنكروها جاءكم يومكم فذوقوا الوبالا !

فظائع الإنجليز في ثورة سنة ١٩١٩

ومن قصيدة له سنة ١٩١٩ يندد بفظائع الإنجليز في إخماد الثورة يوم ارتكبه من
القتل والتنكيل بالأبرياء :

يا سوء ما حل البريد ويا لها	من نكبة تدع النفوس شعاعا !
يارب ما ذنب الذين تتابعوا	يسترسلون إلى المنون سراعاً
جرحى وما حملوا السيوف لغارة	صرعى وما سألوا العدو صراعاً
قالوا (الحياة) فعوجلوا أن يقرعوا	عند النداء بتائها الأسماعاً
(عزريل) نبي ما أصاب جموعهم	فارتاب ثم رآهمو فارتاعاً !
مرأى يشق على العيون ومشهد	يدى القلوب ويقصم الأضلاعاً
لما أطل الظلم فيه بوجهه	ألقى عليه من الحياء قناعاً
ودعا (بنيرون الرحيم) فمارنا	حتى تراجع طرفه استفظاعاً
وصفو المصاب (لدنشواي) فكبرت	(للمصلحين) مقابراً ورباعاً
واستيقنت أن الأولى نكبت بهم	كانوا أبر خلائقاً وطباعاً

* * *

يامصر خطبك في الممالك فادح	ومصاب أهلك جاوز المسطاعا
قوم يروهم البلاء مضاعفا	وتصيبهم نوب الزمان تباعا
لاذوا بحسن الصبر حتى زلزلت	هوج الحوادث ركنه فتداعى
حملوا القلوب تفور مما تصطلى	وتنور مما تحمل الأوجاعا
إن هاجهم طمع الحياة رمى بهم	خطب يروّع منهم الأظماعا

وإذا أرادوا نهضة فمرت لهم حر خلا الوادى فكن سباعا

سفكوا الدماء بريئة وتنمروا يرمون شعباً لا يطيق دفاعا
لم يذكروا إذ نحن نبذل قوتنا ونظل صرعى فى البيوت جياعا
بئس الجزاء وربما كان الأذى عدلا لمن يألو العدو قراعا
جاءوا فقوم يضمرون مودة ورضى . وقوم يظهرون خداعا
فكافأ الحزبان فى حالهما ومضت حقوق العالمين ضياعا

إلى أن قال يهيب بالشعب أن يذود عن حقوقه بالمهج والأرواح والإقدام والشجاعة :

لا يستقل الشعب يترك حقه ويرى البلاد تجارة ومتاعا
يخشى العدو فلا يطيق تشدداً ويهال منه فلا يريد نزاعا
إن الحياة لأمة مقدامة تعبى العدو شجاعة ومصاعا
ترجى إليه من الحفاظ جحافلا وتقيم منه معاندا وقلاعا
إن شامها فى الحادثات تفرقا عقدت على خذلانه الإجماعا
وإذا أراد بها المضيمة أرهفت هما يضيق بها الدهاة ذراعاً

يارب مصر تول مصر وهب لها شعباً يريد لها الحياة شجاعا
لو سيم يوما أن يبيع بلاده بمالك الدنيا معاً ما باعا !

يرثى فريدا

من قصيدة له سنة ١٩١٩ يرثى محمد فريد :

أترى الكنانة كيف تعبت بالدم الله للشهداء إن لم ترحم !
أدى إلراتب فى الصباية عندها تلف الحب وطول وجد المنعم

تزجى تحتها فيكذب دونها
 ضل امرؤ قلمته (مصر) فلم يصن
 معشوقة يجرى مع الدم حبها
 بعثته (مصر) مجاهداً ورمته به
 خاض الغار يهد كل كتيبة
 متجرداً لله يطلب حقه
 فإذا القياصر بالأرائك تنقى
 كل به فزع وكل جازع
 إلى أن قال :

ياسيد الشهداء بعد رفيقه
 ليس الذى بدأ الجهاد فلم يمت
 والناس فى شرف الحياة وعزها
 وأجل ما رزق الرجال هامة
 تتجشم الصعب الخوف وعندها
 مأوى الممالك والشعوب ومالها
 لك من يقينك ثروة إن قدرت
 إيمان ذى الإيمان أعظم ثروة
 ضج النعاة فضج كل موحد
 ثم قال :

يامصر حسبك ما رضيت من الأذى
 إن التى رمت الممالك باعدت
 الأرض تركض بالشعوب حثيثة
 وبرئت من ماضيك إن لم تنقى
 بين المضاجع والشعوب النوم
 فامشى على آثارها وترسى

إن كان قيدك لم يحل فإنه خلق المريب وشيعة المتوهم
سيرى فما بك غير تلك وما بنا إلا مراقبة العدى واللوم

يا نازحاً لم تقض حق بلائه الله جارك فاغتبـط وتنعـم
وانقض همومك عن فؤادك إننا نلقى الهموم بكل أغلب أضخم
إن المناكب والنفوس بأسرها لعداء (مصر) من المهم المؤلم
ماذا حفظت لأهلها من حرمة وقضيت من حق عليك محتم
حيثك (مصر) على البعاد فحيها ودعت مسلمة عليك فسلم
جاوزت حسن الصنع في خدامها وكفيت سوء الذكر من لم يخدم
كذب المضلل لن ينالك سعيه إلا إذا نال السماء بسلام
أقسمت مالك في جهادك مشبه والحر مؤتمن وإن لم يقسم
مازلت تسرف في المغارم دائماً حتى جعلت النفس آخر مغرم
أى القواضب بعد ما قطع الطبا ولوى الأسنة في الوغى لم يشلم
رددت صوتى في الرثاء وإنما رددت من صوت الكنانة في فمى
حيثك فى الملأ العلى وأزلقت حور الجنان إليك شعر (محرم)
أسفى لأوبة راحل لم تقضها عدة المنى وتحيية لم تنظم

ذكرى فريد

وقال سنة ١٩٢٢ فى ذكرى محمد فريد :

ألا فاذكروا من قومنا كل مقدم وفى هذه الذكرى حياة لأقوام
وما الناس إلا الخالدون على البلى وصرف الليالى من هداة وأعلام
همُ نروة الأجيال لولا هم انطوت على فاقة ما استطاع وإعدام

إذا المرء لم يعمل لما بعد يومه طوى كل حيّ ذكره بعد أيام

سلامٌ على الحىّ المقيم وإن طوى إلى المنزى الأقصى ثلاثة أعوام
على الكوكب الطافى على لجة الردى إذا ما طوى الأقمار طوفانه الطامى

ألا فاذكروا الأبطال وابتذروا الوغى وكونوا أولى بأس شديد وإقدام
هى الوثبة الأولى وإن وراءها لما يستجيش الوثب من كل ضرغام

وقال سنة ١٩٢٥ من قصيدة له فى ذكره :

جددوا الذكرى لأهل المشرق وصِفوا المجد لشعب شقيق
يعشق المجد فإن لجّت به لوعة الوجد تنحى يتنى
علموه كيف يقضى حقه نابه الوقف حرّ المصدق
وأروه السبل ناراً ودماً من يهبّ فيها المنايا يصعق
مرّقوا الأوهام عنه إنه ليظنّ السبل من إستبرق
إلى أن قال :

يا (شهيد النيل) لو ناجيته لشفاه منك عذب المنطق
شاقه الصوت البعيد المرتضى والمقام الكسرى الروق
وشجاء أن يرى صمصامه غير وضاح السنا فى المأزق
جاشت الأحداث تستقصى المدى وارتمت من كل صوب تلتقى

إلى أن قال يندد بانقسام الأحزاب وبمساوىء الحكم القائم وقتئذ (نوفمبر سنة ١٩٢٥)

حكم الرجعية والسراى :

سائل الأحزاب ماذا عندها غير ترجاف وهمّ مقلق
وتأمل هل ترى اليوم سوى دولة فوضى وحكم أخرق

فات (نيدون) رجال رزقوا من فنون الظلم مالم يرزق
لو جرى (فرعون) أو (هامانه) يتعاطى شأوهم لم يلحق
سجنوا الدستور طفلا ناعما واستبدوا بالسجين الموثق
لاجرى (النيل) على الوادى ولا يورك الشعب اذا لم يُطلق

تلك ذكرى (النيل) للنفس التى عكف (النيل) عليها يستقى
هى عين من حياة عذبة فى يفاع من سناء مشرق
فزعت مصر إلى أبطالها فلبس النقع وسِرَّ فى الفيلق
سائل القوم أما من غضبة لزام صادق أو موثق
لا أرى النجدة إلا فى الأولى هم أولو العهد الأبر الأصدق
تنصر الله ونحى أمّة نحن منها فى الصميم المعرق
همة المقدام من آلائها ويان العبرى المفلق

الحالة السياسية سنة ١٩٢٥

فى سنة ١٩٢٥ عين اللود جورج لويد معتمدا (مندوبا ساميا) لبريطانيا فى مصر خلا
للمارشال ألنبي الذى استقال من منصبه ، وقد حضر المعتمد الجديد إلى مصر فى أكتو
سنة ١٩٢٥ ، فنظم أحمد محرم قصيدة يخاطبه فيها ويحذره مغبة السياسة الاستعمارية ، وفيه
يندد بانقسام الزعماء وتنكبهم سبيل الإخلاص والسداد ، ويهيب بالأمة ألا تقع فى شرا
الاستعمار ومناورات ، وأن تصمد فى الجهاد . قال :

أتسأل مصر ما حمل (العميد) وهل عند الرماة لها جديد ؟
هو السهم الذى عرفته قدما وجربَ وقته الشعب الوثيد
تمرد مبدئ وطنى معيد ولم تزل الرميّة تستزيد
(مسيح الهند) إن بمصر شعبا يشق عليك إن خضع الهنود

فما نظر المسالم أين تبغى ولا عرف المساوم ما تريد
دع الزعماء إن لهم لَدِينًا يدين بغيره الشعبُ الرشيد
إذا ذكروا الزعامة فهي دعوى يكيد بها (الكدنة) من يكيد
ولا تنق البلاد إذا أصيبت بمن تبغى الزعامة يستفيد
لمن تتألب (الأحزاب) شتى وما هذى الصواعق والرعود ؟
تداعوا للوغى فهو صريعا على أيديهم الوطنُ الشهيد
مضت أسلابه تُزجى إليهم فئاته لدى الأقوام عبيد
إذا ساد التخاذل فى أناس فأغور ما ترى شعبٌ يسود
إلى أن قال :

عميد (الغاصين) نزلت أرضا بيد الغاصبون ولا تبسود
يزود الواحد القهار عنها إذا قهرت جنودك من يزود
أتذكر إذ لقومك ما أرادوا وإذ (لكرومر) البطش الشديد
تطوف جنوده فتصيد منا ومن سرب الحائم ما تصيد
أتذكر (ديشواى) وكيف كادت جوانبها بأهلها تميد
تضج من العذاب ولا سبيل إلى غير العذاب ولا محيد

إلى أن قال مشيرا إلى طغيان كرومر وكيف أكرهته مصر على الاستقالة من منصبه :

سيوف الجند مظهر كل حق ورأى (كرومر) رأى السيد
أتذكر إذ نعاتبه فيطغى ويهدر فى مقالته الوعيد^(١)
أخذناه بقارعة ألحّت عليه فزال واشتفت الكبود
صدعنا ركنه فانقضَّ يهوى وذاب الصخر أجمع والحديد
هوى جبل من العدوان عال وزلزل للأذى صرخ مشيد

(١) يشير إلى خطبته سنة ١٩٠٧ قبل رحيله عن مصر وقد توعد فيها المصريين ببقاء الاحتلال .

ونحن القائمون بحق مصر إذا ما استسلم القوم القعود
ونحن المقبلون على المنايا إذا الأبطال كان لهم صدود
نضن بمصر إن عدت العوادي ولكننا بأنفسنا نجود
هي الذم المصونة والعهود فما ينبغي (كرومر) أو (لويدي)

أخا (السكسون) هل نبئت أنا جلاوذة لقومك أو عبيد
لقد كذبوا عليك فليس فينا لمن ينبغي الهضيمة مستقيد
إذا سعت (الوفود) اليك فاحذر عواقب ما تقول لك (الوفود)
فما أحد بمالك أمر مصر وما بالشعب جبن أو جمود
مضت دنيا القيود وتلك دنيا تدمم بها وتحتقر القيود
حيثما ما حي الآباء أديما وصان لنا وللنيل الجدود
بلاد ما تباع وباقيات من الآثار معدنها الخلود

يدعو إلى اليقظة السياسية، ويندد بالتراخي في الوطنية

قال سنة ١٩٢٧ من قصيدة له في (الشعر السياسي) :

تسعى الشعوب ونحن في غفلاتنا نأبى الفعال ونكثر الأقوال
ركبوا متون العاصفات وشأننا أن نركب الأوهام والآمال

يا باعث الموتى ليوم معادها تنساب من أجدائها أرسالا
أعد الحياة لأمة أودت بها غفلاتها فتوت سنين طوالا
وأضئ لها سبل النجاة ليهتدى من زاع عن وضح الطريق ومالا
وتولها بالصالحات ولقها منك الأمان ووقها الأوجالا

وَأَمْنٌ عَلَيْهَا مِنْ لَدُنْكَ بِقُوَّةٍ تَوَهَّى الْقِيُودَ وَتَصُدَّعُ الْأَغْلَالَا
وَأَجْمَعُ عَلَى صَدَقِ الْإِخَاءِ فِضَاظَنَا فَلَقَدْ تَفَرَّقَ يَمْنَةٌ وَشَمَالَا
أَوْدَى بِنَا بَيْنَ الشُّعُوبِ تَبَاغُضٌ صَدَّعَ الْقُيُوبَ وَمَزَّقَ الْأَوْصَالَا
تَسْتَفْجِلُ النُّكْبَاتِ بَيْنَ ظَهُورِنَا وَيَزِيدُ مَعْضِلَ دَائِنَا اسْتَفْجَالَا
اللَّهُ يَحْكُمُ فِي الْمَمَالِكِ وَحْدَهُ وَيَصْرِفُ الْأَقْدَارَ وَالْآجَالَا

إِلَى الشَّعْبِ

وقال سنة ١٩٢٧ في هذا المعنى موجها الخطاب إلى الشعب :

ادفع بنفسك لا تكن متهيئا ما اعتز في الأقوام من يتهيب
شرف الحياة وعزها لمغامر يمضي فلا يلوى ولا يتنكب
اشرع لأمتك الحياة ولا يكن لك في حياتك غير ذلك مأرب

مصر الحياة وحبها الشرف الذي بطرازه العالي أدل وأعجب
نفسى وما ملكت يداى لأمتى وسراة آبائى ومن أنا منجب
أبني إنك للبلاد وإنها لك بعد والدك التراث الطيب
شمر إزارك إن ندبت لنصرها إن الكريم لمثل ذلك يندب
ما المرء إلا قومه وبلاده فانظر إلى أى المواطن تنسب
ليس التعصب للرجال معرة إن الكريم لقومه يتعصب
للمرء من شرف العشيرة زاجر ومن الخلال الصالحات مؤدب

حكم التاريخ

من أنعم التاريخ أن حسابه حق وأن قضائه لا يشجب
تقف الخلائق تحت راية عدله فيقام ميزان الحقوق ويُنصب

في موقف جلال تجيش جموعه فidas فيه متوجّج ومعصب
ملك الزمان فما لعصر موئل يحميه منه وما لجيل مهرب

يخاطب النيل

يا نيل والموفون فيك قلائل ليت الزعاف لمن يخونك مشرب
قتل الوفاء فما غضبت وإنما يحمي الحقيقة من يغار ويغضب
تهب الحياة له وليس لقاتل في غير حكمك من حياة توهب
من لي بشعب في الكنانة لا القوي تنشق منه ولا الهوى يتشعب
متألب بيني الحياة كأنه جيش على أعدائه يتألب
أين الرجال العاملون فإنما تبقى الممالك بالرجال وتذهب

وطن يعذب في الجحيم

فلسطين الشهيدة

من قصيدة نظمها سنة ١٩٣٨ عن مأساة فلسطين .

كَبَيْتِكَ يا (وطن الجهاد) ومرحبا ليك من داغ أهاب وثوباً
ليك إذ بلغ البلاء وإذ أبي جد الزمان وصرفه أن نلعبا
من ذا يرى دمه أعز مكانة من أن يخضب من (فلسطين) الرُّبَى
وطنٌ يُعَذَّبُ في الجحيم وأمة أعز علينا أن تُصاب وتُنكبا
بقلوبنا الحرى وفي أحشائنا ما شب من أشجانها وتلهبا
وبنا من الألم المبرح ما بها وأرى الذي نلقى أشد وأصعبا
تتجرّع البلوى وتدّرع الأسى نرعى لإخوتنا الدّمام الأقربا
إنا لنعلم أن آكل لحمهم سيخوض منا في الدماء ليشربا
جعلوا الكفاح عن العروبة حرثهم وتمهدوه فكان حرثاً طيباً

يَسْقُونَ ما زرعوا دماً في مَحْصَب لولا الدَّمُ الجارى لأصبح مُجْدِباً
(البيتُ) يَطْرَبُ من أنين جراحهم أرأيت في الدنيا أنيناً مطرباً ؟
وقال يحمل ساسة بريطانيا وأمريكا مسئولية مأساة فلسطين :

إن الذى زعم السلام مُرادُه جعل الدماء سبيله والمركباً
إن كان قد غَمَرَ الزمانَ وأهله كذباً فمن عاداته أن يكذباً
أرأيت إذ سكب الدموع غزيرةً يأبى الحياء لمثلها أن يسكباً
متصنَّعٌ باسم الضعيف يُريِّقُها وهو الذى ترك الضعيف مُعَذِّباً
ما كان أصدق نُسكه لو أنه رَحِمَ البرىء ولم يُحَاطِ المذنباً
يَهْدِي بذكر العدل في صلواته أرأيت عدلاً بالدماء مُحَضَّباً ؟

وقال يهيب بالأمم العربية أن تهب لنجدة فلسطين :

رُسل العروبة هل أسيتم جُرْحُها ما باله استعصى وماذا أعقبا ؟
جُرْحٌ تقادم عهده وتفتحت أفواهه تدعو الأُساة الغُيبا
أنتم أساة الجُرْح فاتخذوا له من طبِّ شيخ أساتكم ما جرّبا
وصفّ الدواء لكم وخلفَ علمه فيكم فأين يريد منكم من أبى ؟

يا قومُ لستم بالضعاف فغامروا وخذوا مطالبكم سراعاً وُثْباً
أفما كفاكم قوّةً من دينكم ما جَمَعَ الإيمان فيه وألباً
يا (آل يَعْرِب) مَنْ يريني (خالداً) يُرْجى الخيس ويستحبّ المِقْنَباً
من شاء منكم فَلْيَكُنْهُ ولا يقلْ ذهب القديمُ ، فإنه لن يذهباً
السُّرُّ باقٍ والزمانُ مجَدَّدٌ والسيفُ ما فقد المضاء ولا تَباً

رُدُّوا المَظالمَ عن محارمِ أمةٍ رَدَّتْ ظنونُ ذوى الجهالةِ خُبَيَّا
لَمْ يُعْطِ أوطانَ العروبةِ حَقَّها من كان يطمع أن تُباعَ وتوهبَا

يشفق على الفلاح

ومن قصيدة له بعنوان (رحلة عابسة) سنة ١٩٤٠ ، وقد مر ببعض القرى وتحركت
شاعريته إشفاقاً على الفلاح . قال :

وَيْلَى عَلَى فلاحٍ مصرٍ أَمَا كُنَى ما ذاق من عنتٍ ومن إرهابٍ
يُغْنِي أُلوفَ المترفين بِماله ويعيش في فَقْرٍ وفي إملاقٍ
سبحان من شرع السبيل لخلقه أ كذا يكون تفاوت الأرزاق ؟